

بسم الله الرحمن الرحيم

## علو الهمة

لفضيلة الشيخ محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي

-حفظه الله-

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه  
واستن بسنته إلى يوم الدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فإن شرف الإنسان وفضله ليس راجعا إلى ذاته وخلقته ، بل هو راجع إلى ما يكتسبه من الصفات الحميدة  
التي بها يتفاضل هذا الجنس ، وبها يتقرب أفراده إلى الله سبحانه وتعالى ، فهذه الصفات المكتسبة التي هي  
نتيجة الأعمال ، هي التي يتفاوت الناس بها في منازلهم وفي درجاتهم عند الله وعند الناس

وإن هذه الصفات تحتاج إلى وسائل لتحقيقها وأهم هذه الوسائل وأعظمها هو : الاستعداد للتخلي بهذه  
الصفات ، والاستعداد للتخلي بالصفات الحميدة مبدؤه هو الهمة التي تنبعث من قلب المؤمن ، فتدعوه إلى

التحلي بتلك الصفات الحميدة ، ومن لم يجد هذه المهمة في نفسه يكتب الله له ما شاء بقدره ، ولكن لا حمد له هو في ذلك لأنه غير مكتسب ، أما من وجد الداعية والميل في نفسه لاكتساب هذه الصفات ، فإن الله يكتب له الثواب ولو لم يتصف بتلك الصفات ولهذا قال الله تعالى { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [ النساء/100]

ومن هنا هذه المهمة يُكتب للإنسان ثوابها ولو لم يصل إلى مبتغاه منها ، مجرد أن تنبعث الداعية في نفس المؤمن ويريد الخير فإن الله يكتب له ثواب ذلك كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة) فمجرد الهم تُكتب به الحسنات ، ونية المؤمن أبلغ من عمله (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)

ومن هنا احتجنا إلى أن نراجع هذه المبادئ الأولية التي نتعدها في تدريسنا للعلوم ، ونتعدها كذلك في ترسيخنا لمبادئ الإيمان الأخرى رغم حاجتنا إليها هذه المبادئ الأولية:

منها انطلاق الدافع العقدي الذي يقتضي من الإنسان أن يعمل مخلصا لله وحده لا يشرك به شيئا ومنها كذلك مقتض آخر وهو الدفع الذي يدفع الإنسان إلى الامام فالإنسان مأكنة متحركة تحتاج إلى وقود ولهذا فإن النفوس ميالة إلى الدعة والراحة ، وكذلك فإن الأبدان تابعة لها ، فالبدن من تربة فيركن إلى الهدوء والراحة ، أما إذا انبعث هذا الدافع القلبي فإنه هو الذي يحرك الإنسان ويسمو به ، ويجعله يصمد ويصبر ويثابر ، ويسعى للوصول إلى الدرجات العلا ، ولا يرضى بالشيء اليسير

إن تنمية هذا الدافع في نفوسنا له ما وراءه ، فلا يمكن أن يحقق الإنسان التضحيات الجسيمة ، ولا أن يتحلى بالصفات العظيمة ولا أن يجمع العلوم النافعة ، ولا أن يجمع الدراهم النافعة في الدنيا أيضا ولا

يتحلى بأي وصف حميد إلا إذا وجد هذا الداعية الذي هو وقوده وبه منطلقه ، فالإنسان بمثابة السيارة ، إذا لم تجد وقودا يشتعل في كانونها ليدفعها إلى الأمام لا يمكن أن تتجاوز محلها ، فطبيعته وأصله الركود والاستقرار والثبات وعدم التطور ، لكنه إذا وجد دافعا يسير به فسينطلق إلى أقصى الحدود كما قال :  
النابغة الجعدي أمام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا \*\*\* وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال (إلى أين يا أبا ليلى؟) قال : إلى الجنة قال (إلى الجنة إن شاء الله)

فيحتاج الانسان إلى مثل هذا الوقود الذي ينطلق به في حياته كلها ، ويحتاج كذلك إلى تجديده لأن به تجديد الايمان فإنه صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال (إن هذا الايمان يجد ويخلق )  
فالإيمان يجد ويخلق في القلوب وكذلك الطباع الحميدة ، فقد يتحلى الانسان بطبيعة حميدة ولكنه بالإهمال والنسيان يتغشاها الران والغبار ، فتُغطى تلك الصفة الحميدة فيه ، ولا يكتشف أنه قد انحراف عن مساره وتعدى مداره إلا بعد أزمنة متطاولة ومن هنا احتاج الإنسان إلى أربعة أمور في سيره هي بمثابة عجلات السيارة:

أولا: الإخلاص لله لأنه القوة التي لا تقهر ولا تُهزم ، فإذا اتصل الانسان بديان السموات والارض وتوكلأ عليه واعتمد عليه في أموره كلها لا يمكن أن يُغلب { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [ المجادلة/21 ] ، {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ} [ الحج/40 ] ، فالاتصال بالله سبحانه وتعالى هو القوة الاولى للإنسان ومن كان قلبه حيا متصلا بالله سبحانه وتعالى استطاع أن يتعدى كل الأزمات وكل النكبات واستطاع كذلك أن يقفز ويقطع المراحل المتعددة

[ثانيا] العجلة الثانية : هي المهمة العالية التي تسمو بالإنسان للمراتب السنية ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتعود وزيادة اكتساب وزيادة دربة وزيادة مهارة

[ثالثا] العجلة الثالثة: هي رفقاء الخير الذين ينافسون الانسان ويعينونه فلا يمكن أن يقطع الانسان المسافات الشاسعة على أمل يريد الوصول إليه إلا إذا وجد من يساعده ويشاطره الفكرة نفسها ،

ويشاطرهم الهمة ، ولهذا فاحتسب نفسك في سفر طويل تسير فيه على أرجلك الضعيفة وتحمل زادك على عاتقك إذا لم تجد من يقوي همتك على ذلك السفر فما هي إلا ليال قليلة تتعب فيها فتقطع الطريق أمامك وترجع أدراجك ، وتعديل عن فكرتك التي كانت بين يديك وأول ما تعرف ربك نقض العزائم ، لكن إذا وجدت من ينافسك في الخير ويساعدك على الوصول إليه ، وتقتضي منك منافسته أن تبذل وأن تضحي وأن تجاهد ويقتضي منك كذلك التعاون معه أن تستفيد منه وأن تفيدته فإنك ستصل إلى مرادك بتلك المنافسة ومن هنا قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم { **قُلْ هَٰذَا سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ** } [ يوسف/108] ، ولم يقل وحدي فلا يمكن أن تقوم دعوة بفرد ، ولا يمكن أن يصل فرد إلى مبتغاه وحده ، ولهذا قال الله تعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا** } [ النساء/71] ولم يقل انفروا فرادى ، وقال تعالى { **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** } [ التوبة/122] وهذه العجلة أهميتها إنما تتضحك من مخالطة المجتمعات فالداعي إلى الكسر محاب { **وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** } [ الأنعام/116] ، فإذا لم تجد من يعينك على طريق الحق ويجاهد في الوصول إليه ويكون إسوة ومثلا ومقتدى ، تقتفي أثره ويساعدك في الوصول إلى غاياتك ، فستنهزم أمام هذه المجتمعات التي هي بمثابة السيل الهادر الذي يضرب كل ما امامه ويفرقه

ومن هنا فإن كل بدعة ظهرت وكل باطل اشتهر بين الناس لا يمكن أن يُقضى عليه بعمل أفراد وإنما يُقضى عليه إذا حصل تكافل بين الجميع وحصلت عناية مشتركة ومن أبسط الأمثلة على ذلك قصة حصلت في صدر هذه الدعوة عندما اجتمع قريش على منابذة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن آمن به ومن ناصرهم من بني هاشم ومن بني المطلب فكتبوا صحيفة مبناه على عداوة الله ورسوله وقطيعة الرحم وعلى أن يحصروهم ولا يناكحهم ولا يبيعوا لهم ولا يشتروا منهم ، وكانت هذه الصحيفة ملأى بهذه الشروط لكن عندما قام خمسة أشخاص فأبرموا أمرهم بليل واتفقوا على أن يتكلم أحدهم قبل غيره وأن يصدقه الآخرون من جهات مختلفة نقضت الصحيفة بفعل هؤلاء ، قاموا هؤلاء الخمسة في

نقض أمر قد اجتمع عليه أهل الأبطح جميعا ، فنجحوا ووصلوا إلى مبتغاهم لأنهم نسقوا جهودهم واجتمعت كلمتهم وتبادلوا الادوار وكان كل شخص منهم يقوم في موقفه المناسب وحينئذ قال أبو جهل :هذا أمرٌ أبرمٌ بليل

فكذلك إذا كان للإنسان من يساعده على هذا الامر ويشد أزره ويقتضي منه التضحية والبذل فإن ذلك مدعاة لاستمراره عليه ولهذا قال الشيخ محمد المامي رحمه الله في نصيحته لأهل هذه البلاد لإقامة دولة الاسلام قال:

أثيروا الغرب قبل قيام عيسى \*\*\* لعل الله ينعشه سنينا

فينصبَ قائم بالعدل منكم \*\*\* فلستم بعده تتخالفون

وينفي ظلم بعضكم لبعضٍ \*\*\* وبالحدِّ المقام تُطهرونا

إلى أن يقول...:

أما تدرون كل بني تميم \*\*\* من الصخر العظيمة يحملون

ويعجز بعضهم عنها وليسوا \*\*\* اذا اجتمعوا عليها يعجزون

كذلك أنتم حيث اجتمعتم \*\*\* على نصب الخليفة تقدرون

[رابعاً] العجلة الرابعة من هذه العجالات :هي الزاد والراحلة والسبيل السابلة التي فسر بها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قول الله تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [ آل عمران/97] ، فقد جاء عنه في تفسير الاستطاعة أنها الزاد والراحلة والسبيل السابلة ،والمقصود بالزاد التقوى والايمان وأن يكون الانسان مستعدا استعدادا فطريا لأن يصل إلى مبتغاه ،فكثير من الناس عمدته في الوصول إلى مبتغاه مجرد التمني والتظني وهذا لا يوصل إلى نتيجة ،{ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ

وَمَا هُوَ بِمُزَحِّجٍهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ } [ البقرة/96]، فليس الوصول بالتمني ولا بالتظني، إنما هو ببذل الجهد والعمل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخرج عنه البخاري تعليقا ووصله ابن أبي عاصم في السنة (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم)، فالذي يظن أنه سينال مراده دون بذل ودون تضحية لا يمكن أن ينال ذلك

والمقصود بالراحلة ما يستعين به الانسان من الوسائل ، ومن أعظمها هذا الوقت الذي هو ملاك الأمر ، فمن لم يجد وقتا تذوب أفكاره في نفسه حتى لو كان صاحب همة عالية لكنه لم يجد وقتا لاستغلالها لا يمكن أن يطبق شيئا مما يريد ن ولهذا جعل الله الوقت حجة على الناس فقال { أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } [ فاطر/37]

وكذلك من هذه الوسائل الفهم للمهمة التي يقصدها الانسان ، فكثير من الناس يتعلق أمله بشيء لا يبلغه وسبب عدم بلوغه إياه أنه لم يفهم ما هو ولم يعرف مراده بالضبط ، ومن لا يعرف مراده لا بد أن يبقى في دوامة دائرية لا يدري من أين بدأ ولا من حيث عاد

كذلك السبيل السابلة هي الهدف الواضح الذي تقصده والوسيلة التي تنقلك إلى ذلك الهدف ، فلا بد أن تحدد لنفسك هدفا للوصول إليه ، وما لم تحدد لنفسك هدفا في هذه الحياة فستكون مثل البلهاء الذين يقول أحدهم : جئت لا أدري من أين جئت ولكني أتيت ، فالإنسان الذي يجيء لهذه الحياة دون هدف يعيش في هذه الحياة ما كتب الله له ثم ينطلق منها دون أن يترك أثرا لأنه ليس له هدف في هذه الحياة ومقصد يريد الوصول إليه ، أما من كان له هدف يريد الوصول إليه فهدفه مانع له من الانحراف يمين ويسارا لأن الهدف واضح في ذهنه أمامه يقصده ، من يريد الوصول إلى جبل يراه أمامه فهل سيضيع الطريق يميناً أو شمالاً ؟ لا يضيع ذلك لأن الجبل نصب عينيه وهو يقصده بذهابه وخطواته معدودة إليه ،

فكذلك هنا إذا كانت أهدافك سامية واضحة مرئية نصب عينيك فإنك لن تضيع طريقك إليها ،  
وستصل إليها مهما طال السفر:

**لا بد من صنعا ولو طال السفر**

فستكون في سيرك جادا وستستغل الفرص المتاحة لذلك

بالنسبة لهذه العجلات الأربع ينبغي أن يكون الهواء فيها متساويا لا ينبغي أن يكون جانب أعلى من جانب  
لان ذلك يقتضي عدم التوازن ، فالانسان كما ذكرنا مثل السيارة ، فإذا نقص الهواء في بعض العجلات  
وازداد في بعض فلن يكون السير مستمرا متصلا لا بد أن يكون التوازن بين هذه العجلات بارزا ، وأن  
تكون عين الرقابة عليها عينا موحدة

العجلة الاولى عجلة الاخلاص وهذه سبق التحدث عنها ، وإن كانت لا يفي بمقتضاها الكلام ، ولا  
يكفي من تدبرها شيء فعلينا أن نفكر دائما في تعاملنا مع الله وفي إخلاصنا له وفي نياتنا ، في جلوسنا هذا  
، وفي حركاتنا وسكناتنا وكلامنا وتفكيرنا ، لا بد أن نخلص لله تعالى في كل ذلك

: أما العجلة الثانية وهي التي بين أيدينا وهي عجلة المهمة ، فهي تنقسم إلى قسمين إلى

صفة فطرية

وصفة مكتسبة

أولا= أما الصفة الفطرية فهي أن كل انسان أيا كان عاش في هذه الحياة لا بد أن يكون هماما ، ولذلك  
جاء في الحديث (أصدق الأسماء حارث وهمام) فالانسان بطبعه عامل فالانسان بطبعه عامل ، يفكر فيما

ينفعه ، ويفكر فيما يخافه ، ويسعى للوصول إلى المنافع ، وهو مجبول بطبعه على محبة ما ينفعه وكرهه ما يضره ، فهذا القدر من الهمة فطري في الانسان ، لكنه مع ذلك قابل للتطوير لأن النفعة والضرر مفهومات واسعة ، تشعبهما كثير ، فالنفع والضرر كلاهما حتمال كثير الوجوه ، والانسان محتاج إلى أن يحدد المفهوم الصحيح للنفع ، والمفهوم الصحيح للضرر ، حتى يتبين ذلك ويتصرف على أساس البيئة الواضحة

إن كثيرا من الناس إذا ذكر النفع تذكر المادة ، الدريهمات ، وإذا ذكر الضرر تذكر ما يصيب بدنه أو عقله ولم يتذكر ما يصيب دينه ، والواقع أن هذا المفهوم خاطئ في تحديد النفع والضرر ، فكم من دريهمات قادت إلى الهلاك ، وكم من أمراض ومضرات بدنية قادت إلى الدرجات العلا من الجنة ولذلك يقول الحكماء:

لا تكره المكروه عند حلوله \*\*\* إن الحوادث لم تنزل متباينة

كم نعمة لا تستقل بشكرها \*\*\* لله في طي المكاره كامنة

يوسف عليه السلام عندما أخذه إخوته وهم أقرب الناس إليه ، وأنتم تعرفون قول العرب:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة \*\*\* على المرء من وقع الحسام المهند

رموه في بئر بعدما خلعوا عنه قميصه ويمكث في هذه البئر ماشاء الله أن يمكث ثم يُستخرج ويبيع بثمن بخس عبدا ثم يحاول أهل مصر فتنته في دينه ثم يُسجن فترة طويلة مع المجرمين ، هل كان هذا مضرة على يوسف أو نفعاً له ؟ كان غاية النفع لأنه فتح الله له أنواع الخير في هذه الفترة ، ثم بعد ذلك ملكه على مصر ثم جمع شمله ، بأهله ووالديه على خير ما يكون { هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا }  
وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ { [ يوسف/100]



لذلك فإن علينا أن نحدد ما هو نفع وما هو ضرر ، فالنفع لا يكون إلا بموافقة شرع الله ، وذلك أننا عاجزون عن تحديد ما هو المصلحة لنا ، في الدار الآخرة وفي مستقبل الدنيا ، ما مضى من عمرنا بإمكانك أن تعرف بعض المصالح فيه فتقول :لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كذلك أو لما فعلت كذا ، أما المستقبل (فإياكم والو فإن لو تفتح عمل الشيطان ) المستقبل لا تتطلع عليه بلو ولا غيرها ،فهو إلى الله ، لكن عليك أن تعرف فيه أن ما أدى إلى رضوان الله وطلب ما عنده والاقبال عليه فهو المصلحة أما ما يخطر ببالك أنه المصلحة فما هي إلا أزمة يسيرة ينقلب لك فيها الميزان ، وترى أن ما كان مصلحة عندك هو عين المفسدة ، وأن ما كان مفسدة أو مضرة عندك في وقت من الاوقات هو عين المصلحة يشاهد ذلك كل واحد منا في حياته اليومية ،ويتمنى لو أنه فعل أشياء ثم يتبين له أنه لو فعلها لكانت عين المضرة عليه ، من هنا نعلم أن المصلحة ما وافق حكم الله وأن المضرة ما خالف شرع الله ، فالله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير يعلم السر وأخفى ، كل المصالح التي تفكر فيها أنت ومن سواك ، تجلس لها البرلمانات وتناقشها اللجان وتُعد لها الوثائق والقوانين ، هذه المصالح لا تحقق مصالحك ، لأن الخلفيات التي تقام على أساسها هذه الأعمال خلفيات محصورة إستشرافهم للمستقبل سيكون احتمالا من ألف احتمال أو أكثر ، فلذلك لا يمكن أن يحيطوا علما بهذه المصالح المستقبلية ، لكن علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى ، هو الذي يحيط بهذه الاحتمالات علما ، فمن هذا إذا شرع ، فلا معقب لحكمه وهو العليم الخبير ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، إذا شرع شرعا فمعناه أنه هو المصلحة المتمحضة ، وإذا نهى عن شيء فمعناه أنه المفسدة المتمحضة ، مهما نظر الناس وبحشوا وبقنوا فلن يصلوا إلى هذه المصلحة ولا إلى هذه المفسدة إلا من هذا الطريق

ولذلك فإن الذي يقتضي من الانسان البحث في المصالح والمفاسد هو في الاصل فطرة ربانية يفطره الله عليها تقتضي منه محبة للمصالح وبغضا للمفاسد ، لكنها لا تقتضي منه توفيقا للوصول إلى المصالح والهروب من المفاسد ، بل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [ الأنبياء/35] ، فالفطرة تحب بما المصلحة وتكره بما المفسدة ولكن لا تعرف بما المصلحة

والمفسدة

[ثانياً] أما النوع الثاني من أنواع المهمة = فهو النوع المكتسب وهو أهم ما ينبغي أن يُتحدث فيه ، لأنه بالإمكان أن يُحدث لدى الإنسان الذي كان قد عدمه بالكلية ، من ليست لديه مهمة بالكلية ، بالإمكان أن تقنعه فتحصل لديه هذه المهمة ، ومن كانت فيه مهمة فيها نقص أو ضعف بالإمكان أن تقوي همته بكلمات يسمعها ، ومبادئ تزرع في تصوره وإدراكه، ومن هنا احتجنا إلى التحدث في هذا الجانب وكانت حاجتنا إليه ملحة

أما هذا الجانب المكتسب من المهمة فإن الداعية التي تدعو الإنسان إلى التفكير التي تقتضي منه البحث في المصالح والمفاسد ، تقتضي منه كذلك الموازنات في نظراته وأن يكون ينظر بعينين لا بعين واحدة ، فالله تعالى جعل له عينين ليدرك المصالح إلى جانب والمفاسد إلى جانب ، وليكون بذلك معتدلاً في سيره مستقيماً النظر ، لهذا قلما تتمم المصلحة في شيء ، من النادر جداً أن تتمم المصلحة ، إنما تتمم في مثل قول (لا إلا الله) مثلاً ، أما ما سوى ذلك فقلما تتمم فيه المصلحة ، لكن من حكمة الله أن يُدمج فيه بعض الايجابيات والسلبيات ، فتفاوت درجات الناس باعتبار هذا الميزان الذي يفاضل بين الايجابيات والسلبيات ، ويرجح الايجابيات ويقضي السلبيات ويرتكب أخف الضررين وأخف الحرامين هو الموفق

والذي تنعكس له الموازين فيأخذ بكبرى المضرتين ، وبأكبر الحرامين ، هذا منتكس الفطرة مائل التصور ، ليس مستقيم المهمة ، فلهذا احتاج الانسان إلى أن يُحدث في نفسه ، هذا التصور الذي هو مبدأ المهمة العالية المكتسبة ، وأساسه أن يقوم الانسان نفسه فيتذكر لماذا خلق { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات 56/58] ، أو ما يفكر فيه من يريد اكتساب مهمة جديدة ، أن يفكر لماذا خلق؟ لماذا جاء إلى هذه الدنيا؟ ما دوره فيها؟ ما مهمته التي من أجلها أتى؟ ما رسالته التي يحملها؟ ما أمته التي ينتمي إليها؟ من

قائده الذي يريد أن يبعث تحت لوائه؟ ماهي السنة والمنهاج الذي يريد أن يتبعه؟ إذا حدد الانسان هذه الأمور بلحظات تفكير يسيرة ، فهذا بداية زرع هذه المهمة العالية عنده

إذا تذكر أنه ليس كالبهيمة ، وتذكر أنه إنسان كريم شريف على الله خلقه الله بيمينه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وقال فيه { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } [ الإسراء/70 ] ، عرف أنه ليس مثل الحيوان البهيمي ، وليس دابة تقاد إلى الردى ، إنما هو إنسان كريم شرفه الله وكرمه ، ومن هنا فلن يقيم على الضيم وهو يُراد به ، ولن يرضى باليسير كما قال امرؤ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة \*\*\* كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكن ما أسعى لمجدٍ مؤثِّلٍ \*\*\* وقد يدرك المجد المؤثِّلَ أمثالي

والمقصود بالمجد المؤثِّل هنا رضا الله سبحانه وتعالى ، هذا المجد المؤثِّل الحقيقي رضوان الله سبحانه وتعالى

إذا عرف الانسان أنه مخلوق لله مملوك ، وهي الرتبة الثانية ، بعد معرفته لتشريف الله له ، عرف أنه مملوك وليس ذا حرية مطلقة في تصرفاته ضي بما شرع له بارؤه ومالكة

إذا عرف أنه جاهل { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ... } [ النحل/78 ] ، عرف

أنه محتاج إلى الازدياد من العلم ، وأن العلم الحقيقي هو علم الله الذي لا يمكن أن يقع فيه الخطأ

إذا عرف أنه فقير وتذكر قول الله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [ فاطر/15] ، تذكر أنه محتاج إلى أن يتقرب من الغني الحميد الذي يملك له الحياة والموت والنشور ، والعذاب والنعيم وأن كل ذلك إليه سبحانه وتعالى وحده

إن الذي يتذكر هذه المبادئ سيجعل ذلك أرضية صلبة ، لينطلق منها في زيادة همته ، ثم بعد هذا ينظر إلى الجرعات التي يطعم بها بعد هذا حتى تقوى همته

الجرعة الاولى = جرعة تذكر حال أمته وماهي فيه وماهي محتاجة إليه ، فإذا تذكر الشاب أنه ينتمي إلى أمة عريقة هي أمة الإسلام ، وأنه يسلك طريق أفضل الرسل وأكرمهم على الله وأنه قد بايع الله تعالى ببيعة مؤكدة في التوراة والإنجيل والقران ، وأنه إن وفى لله بهذه البيعة بأي شيء يبذله وبأي شيء ينفقه فإن أجره على الله كما قال تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [ التوبة/120/121] ، تذكر حقوق هذه الأمة التي تعلق به الآمال وتعتده من جنودها ، ومن الذين يستعيدون لها حقها المغصوب

تذكر أن أنداده من اولاد الأمم الأخرى ، هم الذين رفعوا راية تلك الأمم وتقدموا باللواء كما قال علي رضي الله عنه:

لمن راية سوداء يخفق ظلها \*\*\* إذا قيل قدّمها حزينٌ تقدما

تذكر الشاب هذه الأمور ، فإنه لا بد أن تنبعث في روحه الهمة المكتسبة

[الجرعة الثانية]= التطعيم الثاني بعد هذا ، إذا تذكر أن أقواما آخرين يبدلون ويضحون ، وأن له من النظراء الجائزين ، من إذا تأخر هو تقدموا ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [ المائدة/54] ، إذا تذكر أن أولائك بالمرصاد ، وأنه هو مادام راكدا في مكانه فهو حجر عثرة في وجوه هؤلاء وستدوسه الأقدام ، ويتعداه الركب ، تذكر أن القطار منطلق ، وأنه هو إما يتبوأ مكانه من القطار فسيصل أو يبقى على الأثر فيفوته الركب بالكلية فهذا داع كذلك لزيادة همته ، وهذان الداعيان متناقضان تماما:

الداعي الأول: بذل أعداء الدين وأعداء الله وما يبذلونه من تضحيات جسام

والداعي الثاني: بذل أولياء الله ، وما يبذلونه كذلك من التضحيات

وهذان الداعيان المتناقضان فعلهما عجب فهما مثل التيار الكهربائي الموجب والسالب ، يجتمعان فيؤثران ولو انفرد أي واحد منهما لم يؤثر وحده

إذا تذكر الإنسان حال أعداء هذه الأمة ما يبذلونه وتذكر أن الذي وصلت إليه هذه الأمم الراقية إنما وصلت إليه بفعل أبنائها ، وأن الهجوم الشرس على دين الله تعالى هو مستهدف به ، وهو الذي ينبغي أن يقف في وجهه ، كان هذا الداعي هو الداعية السالب

أما الداعي الموجب فهو أن يتذكر أن إخوانه من جنود الله تعالى يعملون إذا نام هو فله جنود آخرون كما قال تعالى { فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ } [ الأنعام/89] ، إذا تذكر أن لله جنودا آخرين ، وأنه إذا قصر هو فسيقوم بالعمل من سواه ، فهذا هو الداعي الموجب ، ويجتمع الداعي الموجب والسالب فيتكون التيار الكهربائي في نفس المؤمن ، وهذا التيار الكهربائي هو الذي تنطلق به شرارة الهمة الاولى المكتسبة

ثم يأتي بعده إمداد آخر ، وهو إمداد الإنسان بالترغيب والترهيب ، وهذان بابان عظيمان جاء فيهما كثير من النصوص ، فالله سبحانه وتعالى جمع لنا بين الترهيب والترغيب لعلمه بما خلق عليه هذه النفوس وفطرها فهو الذي خلقها وفطرها وهو أعلم بأحوالها ، ولهذا خوفها بالترهيب ، وطمعها بالترغيب ، حتى استقامت واستمرت على هذا المنهاج تذكروا قول الله تعالى { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَنْخُلُ وَمَنْ يَنْخُلُ فَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [ محمد/38] ، هذه الحوادث التي جمعها الله في الآية الواحدة ، فيها ترغيب وترهيب ، وفيها ثلاث حوافر عجيبة

قال { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وهذا يشمل الانفاق من كل الطاقات مما آتاك الله من علم ومن مال ومن لسان ، ومن مكانة اجتماعية ومن سلطة ومن نفوذ ومن غير ذلك { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ }

{ فَمِنْكُمْ مَنْ يَنْخُلُ وَمَنْ يَنْخُلُ فَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْكُمْ } أنت محتاج أو غير محتاج ؟ محتاج لا محالة ، فأنت تاجر وتعلم أنك محتاج إلى هذا الإمداد الرباني ، تعلم أنك ستحشر إلى الله حافيا عاريا أغرل ليس معك إلا عملك ، ومن هنا نتذكر أن ما تقدمه إنما تقدمه لنفسك لهذا قال { وَمَنْ يَنْخُلُ فَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْكُمْ }

ثم قال { وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ } هل تستطيع قطع العلاقة الديبلوماسية مع الله ؟ لا تستطيع ذلك لافتقارك إليه وحاجتك إليه في كل أمورك ، وإذا كان الأمر كذلك كنت محتاجا إليه في كل اللحظات لا يمكن أن تجد لحظة واحدة تستغني فيها عن الله فلا بد أن تقدم له بعض ما آتاك وهو يطالبك بتقديمه

ثم ذكر الحافز الثالث فقال { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } فأنتم جميعا موظفون عند الله ، في ديوان اسمه ديوان نصره دين الله ، هذا الديوان يكتب الله فيه الافراد ، ويوظفهم فيه ، وراتبهم الجنة ، فهم متفاوتون في ذلك بحسب ما يقدمون ، لا بحسب السن ولا بحسب الضخامة ولا بحسب النحافة ، إنما تفاوت درجاتهم ورتبتهم العسكرية في ديوان خدمة الدين بحسب ما يقدمونه ويبدلون ، فإذا بذل إنسان وضحي تضحيات جسيمة وصل إلى هذا المستوى المطلوب حتى ولو لم يعمر

إلا لحظات كما في حديث الرجل الذي قال : يا رسول الله أسلم ثم أقاتل أم أقاتل ثم أسلم؟ قال (أسلم ثم قاتل) قال : أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله فأخذ سيفه فقاتل فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لقد عمل هذا قليلا وأجر كثيرا) ما عاش في هذه الحياة إلا لحظات بعد إيمانه وتبصره لكن هذه اللحظات كانت خيرا من مئات السنين من أعمال الآخرين ، استطاع فيها أن ينتصر على نفسه وأن يقدم نفسه فداء لدين الله ، وأن يكون وقودا لقطار هذه الدعوة المتحرك في لحظة من اللحظات

فلذلك إذا تذكرت أن تفاوت درجات الناس عند الله إنما هو بحسب ما يقدمون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، فهذه هي الرتب ، فهذه الرتبة عند الله بحسب ما تقدمه

وتذكرت أن الله يخاطبك فيقول {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} إذا لم ترض لنفسك بالتقدم ، فالأمر سهل ، لست الوحيد من جنود الله فعند الله الخلف ، ومن أبلغ الحوافز للموظف أن يقال له : إذا لم تُحسن عملك فسنصرفك عنه ونأتي بمن هو خير منك ليؤدي العمل على أكمل الوجوه ، فهذا من أبلغ الحوافز التي تقتضي من الانسان التضحية

[الجرعة الثالثة] ثم التطعيم الاخر بعد الترغيب والترهيب ، وتذكرهما ، تذكر الانسان أن هذا الدين مسؤولية وأمانة ، فقد أداه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أكمل الوجوه ، وأنتم جميعا تشهدون له بذلك ، تشهدون أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وقد وصلتكم فلا يمكن أن يقول أحد منكم في موقف القيامة امام الاشهاد : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، لا أحد منكم يجروء على أن يعلن هذا الموقف أنتم جميعا مقرون بأنه قد بلغ الرسالة وأدى الامانة وقد وصلتكم ، جاءكم هنا في دوركم ، بلغتكم رسالة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمنهج الحق الذي جاء به فقامت عليكم الحجة لله بذلك فإذا كان الامر كذلك فماذا فعلتم في هذه الامانة التي أوثمتكم عليها

إن من أقر بأنه قد أودع ، ثم أقر بالتفريط لا عذر له ، لأنه قد تمكن من الامانة ووصلته وجعلها في جيبه ، ثم فرط فيها بعد ذلك ، إن هذا من أكبر الحوافز التي تدعو الانسان إلى زيادة همته وعلوها

إن هذه التطعيمات التي تقتضي من الانسان أن تزيد همته ، ينبغي كذلك أن يضاف إليها ما يتعلق بالأهداف والوسائل ، فالأهداف والوسائل متفاوتة متباينة ، والهدف الاسمى والاكبر هو رضى الله هو الاكبر الذي لا سخط بعده ، الذي يحتاج إليه جميع الخلائق ، فكل الناس محتاجون إلى أن يتجاوز الله عنهم ، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو معصوم ، تعهد الله له بالمغفرة فقال { **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...** } [ الفتح 2/1 ] ومع ذلك كان يقول (أفلا أكون عبدا شكورا ) ، فنحن محتاجون إلى رضوان الله الذي يستر الزلات ، ويقلل العثرات ، وما من أحد في غنى عن هذا الرضا فلذلك هو الهدف الاسمى ، والناس يعلمون أن هذا الرضا إنما يُنال بما يقدمه الانسان ، { **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ...** } [ الفتح 18 ] ، { **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ...** } [ التوبة 100 ] فهذا رضوان الله إنما حلَّ على هؤلاء بسبب أعمالهم وبسبب ما بذلوا وقدموا وبسبب ما علم الله في قلوبهم

فإذا حددت أنت هدفك وعلمت أنك محتاج إلى رضوان الله سبحانه وتعالى ومضطر إليه وأنت قد فرطت في جنب الله الكثير ، الذي لا تستطيع إنكاره وستنسى كثيرا منه لكنك تعلم أنه عندما يناجيك الباري سبحانه وتعالى يوم القيامة ، فيطلعك على الصحائف ستذكر كثيرا من الاعمال التي كنت أنسيته ، فإذا كان الامر كذلك فإن من أبلغ ما يدعوك لزيادة همتك هو: أن تفهم مزية رضوان الله الأكبر وسبب الوصول إليه



ثم بعد ذلك الأهداف الوسطى ومن هذه الأهداف أن تكون في قرّة عين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن أتباعه ، كثير من الناس يحب أن يكون في قرّة عين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لكنه لا يفهم مزية هذا الهدف ، النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يمكن أن يحب لأمته ولا لأتباعه إلا ما هو خير لهم ، ولا يرضى بمعصية الله ولا يرضى بمخالفة ما جاء به من عند الله ، والانتساب إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقتضي من الانسان أن يكون من الغر المحجلين ، الذين يبيض الله وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وأن يكون في الزمرة التي هي أو من يدخل الجنة ، وأن يكون من الذين يدعون يوم القيامة { **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** } [ الحاقة/24] ، وأن يكون من الذين يقال لهم { **...سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** } [ الزمر/73] ، وأن يكون من الذين يقال لهم { **سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ** } [ يس/58] ، وأن يكون من أولئك الذين قال الله فيهم { **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لَا يَحَزُنُّهُمْ الْفَرْعُ الْكَبِيرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** } [

#### الأنبياء101-103]

إننا في هذه الدنيا قد لا نكتشف مزية بعض الناس ، بل يموت بعض الناس فلا يشعر به احد ، ولا يفترقه احد ، لكنه يوم القيامة يكون من الذين يقال لهم { **هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** } ولهذا قال الله تعالى { **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** } [ القصص/83] ، فإذا فهم الانسان أن المزية عظيمة جدا وأن الدرجات متباينة ، وأن أهل الجنة يتراؤون الغرف كما يتراعى أهل الارض الكواكب الدرية ، وأنه بقدر خشوع الانسان في صلاته وبقدر استقامته ، وإخلاصه ، تكون رؤيته للباري سبحانه وتعالى يوم العرض عليه ، وأنه كذلك بقدر حسن خلقه يكون قرب مجلسه رسول الله ، سيقضي هذا منه زيادة في الهمة ، ألا ترون أنكم الان تقتربون لسماع الصوت وتتنافسون في ذلك تقتربون للصف الاول لما سمعتم فيه من الاجر والفضل ، وتتنافسون فيه ، ولو لم تجدوا الا أن تستهموا عليه لاستهتم عليه ، لكن الصف الاول يوم القيامة هم الذين في الفردوس الاعلى من الجنة تحت عرش الرحمن ، هؤلاء هم الصف الاول الذين بذلوا وضحوا فوصلوا إلى ذلك المقام العالي

إن من تذكر معنى أن يكون في قرّة عين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة اقتضى هذا منه  
علو الهمة وأن لا يرضى بالشيء اليسير

[الجرعة الرابعة] كذلك من هذه التطعيمات المهمة فيما يتعلق بعلو الهمة ، أن يتذكر الانسان أن المنافسة  
الحاصلة في عبادة الله تعالى التي من أجلها خلق منافسة عظيمة جدا جدا ، ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى  
عبادا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، إنك تنافس في عبادة الله وخدمته جبريل وميكائيل  
وإسرافيل ، فهذا يقتضي منك أن تبذل وأن تضحي وأن لا تقصر أبدا ، كيف تقصر وأنت عبد الله تريد  
أن تنافس في خدمته وعبادته جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وغيرهم من الملائكة والانبيا ، إنها مزية عظيمة  
تقتضي منك كثيرا من البذل والتضحية ، كذلك مما يقتضي علو هذه الهمة وزيادتها أن تتذكر يا عبد الله  
، أنك في حياتك الدنيا قد أتيت لك هذه الفرص ، وهي بين يديك ولها وقت محدد ، لها تاريخ ، ينتهي  
تاريخها فتكون كالدواء منتهي التاريخ ، أو كالحليب المنتهي التاريخ بعد ذلك ، فيطلب منك اتخاذ موقف  
مشرف ، في لحظات يسيرة ، فإذا تعدّت هذه اللحظات ، لو اتخذت هذا الموقف وأضعافه معه فلا يقبل  
منك ولا يكون له مزية ، فالمواقف امتحانات يمتحن الله بها عباده

تعرض عليك المعصية فإذا كفت ووقفت وكنت ربيط الجأش صابرا ، فهذا وقت النجاح ، إذا انسقت  
وراءها ثم جئت تستقيل بعد ذلك قد يغفر لك وقد لا يغفر ، إذا أتت تضحية في سبيل الله بارزة ،  
عرضت عليك فاعلم أنها فرصة نادرة جدا فإذا لم تبادر إليها فاعلم أنها بالإمكان أن تفوت ولذلك يقول  
الحكماء ، إذا رأيت فقيرا محتاجا ، هو من عيال الله فقد أتاح الله لك فرصة لأن تقدم شيئا لآخرتك ،  
وجدت رسولا آمينا سيحمله على عاتقه حتى يسلمه إليك في الجنة ، لكنك تفوت هذه الفرصة فيما  
تقول : الفقراء سواه كثر ، لكن متى تعيش أنت ومن يضمن لك ، من يضمن لك أن تبقى حتى وقت  
آخر تتدارك فيه ولهذا قال الله تعالى { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ

رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ  
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [ المنافقون 10/11 ]

ومثل هذا في العلم ، يزهد كثير من الناس في أوقات ثمينة ، يمكن أن يتعلم فيها لكنه يقول : لي التزامات في هذا الوقت ، والمحاضرات كثيرة ، وإذا فاتتني هذه فسأدرك محاضرة أخرى لكن من يضمن لك البقاء ؟ ما يدريك أن الملائكة الذين يجلسون على أبواب المساجد يكتبون قد أذن لهم بكتابة الناس في هذا الوقت في سجلات سترفع إلى رب العزة والجلال ، فإذا لم تكن فيها قد فاتك خير كثير

إن الذين يسوفون ويتمنون على الله الأمان ، ويرضون بأن يؤخروا عمل اليوم لغد ، يوشك أن يقع في دائرة الإهمال حيث يدعوهم غد إلى غدٍ آخر حتى ينتهي العمر بذلك

إن الفرص التي تتاح لقراءة القرآن لذكر الله لصلاة ركعتين تفوت كثيرا من الناس كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ( **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ** ) صحة بدنك وقوتك الان نعمة عظيمة ، سيأتي الوقت الذي تجد نفسك مسجى على السرير في المستشفى ، او مريضا تشكو ألما حادا ، فبادر قبل أن يأتي ذلك الوقت ما دمت معافي في بدنك انتهاز هذه الفرصة

كذلك نعمة أخرى وهي الفراغ ، ما دمت في فراغ من وقتك يمكن أن تستغله فيما ينفع ، اعلم ألما نعمة نادرة ، وأنه بالإمكان أن تأتيك الاشغال ، وأن تتراكم عليك ، فإذا وجدت فرصة لاستغلال هذا الوقت فبادر قبل أن يفوت الاوان ولهذا جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ( **بادروا بالأعمال ستة ، فهل تنتظرون إلا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا**

مضنيا ، أو هرما مفندا ، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة ادهى وأمر ) هذه  
الفرص النادرة التي نجدها قل من الناس من يستغلها

ليتذكر كل واحد منكم أنه في الليالي ينامها على فراشه يستيقظ وهو معافى في وسط الليل ، يستيقظ  
وكان بالإمكان أن ينتهز هذه الفرصة ويمكن أن تكون في وقت التزول ، وديان السموات والارض ينادي  
(ألا من يسألني فأعطيه ، ألا من يدعوني فاستجيب له ...) وكثير من الناس من يستيقظ في هذا الوقت  
رد راسه على الوسادة ، وعاد إلى النوم الذي كان فيه فتفتت هذه الفرصة النادرة العجيبة ، قامت عليه  
الحجة ونال المساعدة العظيمة لاكتساب أجر عظيم ففاته هذا الهوان

كثير من الناس كذلك ، إذا سمع أحوال الأمة وتذكر ما فيه أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
اليوم من الهموم والغموم وتذكر أن نصيبه هو من هذه الهموم أقل ، نحن لا نقول إن أحدا من هذه الأمة  
خال من الهموم مطلقا ، بل ما من أحد إلا وله نصيب من هذه المصائب ، لكن عليك أن تتذكر أن  
المستوى الذي أنت فيه من نعمة الله يفقده كثير من أفراد هذه الأمة وهذه مسؤوليتك عنهم ، فبادر قبل  
أن تكون الدائرة عليك

إن الذين لم ينصروا أهل الاندلس حين استغاثوا بهم وطلبوا منهم النصرة على أعدائهم الكفار لم تمض  
سنوات قليلة حتى داهمهم العدو في ديارهم ، وكذلك في أيام المستعمر ، كان المستعمر إذا احتل بلدة من  
بلدان الاسلام ، ولم يجد أهلها من ينصرهم ولا من يساعدهم ، نظروا إلى من وراءهم وهم ينعمون  
بالعافية ، لكن ماهي إلا سنوات يسيرة حتى تسقط تلك البلدان الاخرى التي لم يقم أهلها بالواجب

هنا أتذكر فتوى أفتى بها الشيخ محمد النيفر مفتي تونس ، عندما احتلت فرنسا الجزائر ، عام 1830 م — ، أفتى بجرحة شهود الجزائر وقضاها ، قال لأنهم استطاعوا الهجرة ولم يهاجروا فما مضى إلا خمسون سنة حتى احتلت تونس ، فتطبق فتوى المفتي على نفسه لأنه هو أيضا ما هاجر وتتسلسل القضية فكل بلدة تسقط بعد الاخرى قد قامت عليها الحجة من قبل لأن الدائرة ستعود ، والقبض والبسط كفتا ميزان ، وهذه المصائب تدور دواليك بين الناس ، { .....وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ..... } [ آل عمران/140] ، فإذا تذكرت حال إخوانك المستضعفين المستذلين الذين يضطهدون في دينهم ، فلم تبذل لهم ، فستدور الدائرة عليك وتكون أنت الضحية في المستقبل

إذا لم تقوموا لله بالحق ، لإخوانكم المستضعفين فاعلموا أن الدائرة ستدور عليكم ، ويأتي اليوم الذي تكونون فيه كحال الكويتيين وقت الأزمة ، عندما خرجوا من بلادهم ، وتركوا ما خولهم الله وراء ظهورهم ، فما هي إلا ليلة واحدة يصبح فيها الاغنياء فقراء والآمنون خائفين ، ويخرجون من ديارهم لا يصحبون إلا ما خفّ من المتاع ، دارت عليهم دائرة من عَوَاد الدهر ، التي ليس أحد بمأمن عنها ، بعدما كان من سواهم يلجأ إليهم فأصبحوا هم يلجؤون إلى من سواهم ، وليس الحال مختصا بهم ، بل الحال سيدور على الجميع .. إن هذا ما يقتضي علو هذه المهمم

كذلك إذا تذكر الإنسان الأمثلة التي يقتدى بها في هذا المجال ، فإن ذلك مما يحفز المهمم ، ولهذا قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله (إن سير الصالحين جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب عباده ومصدق ذلك من القرآن قول الله تعالى { وَكَأَلَّا تُقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [ هود/120]

فقد بقيت عنده رواسب ستبقى معه طيلة حياته ، أما إذا زرعت فيه هذه الهمم وهذا .....  
الايمان وهذه القيم في صباه قبل السادسة من عمره ، فإن ذلك مقتض بأن يبقى معه حياء طيلة عمره ،  
وأن تبقى معه تلك القيم يجد منها وازعا يزرعه عما ينفع طيلة حياته

وكذلك على المربين والمدرسين والمعلمين أن يجتهدوا في زرع هذه الهمم في النفوس وأن يعلموا أن كلمة  
يقولها الانسان ولو لم يكن هو متصفا بها ، قد تؤثر فيمن يسمعها تأثيرا بالغا ، وبالأخص أن كثيرا من  
الناس ، يتأثرون بالنصح فإذا رأوا من ينصحهم ومن يظن بهم الخير ومن يقدرهم أثر فيهم أثرا بالغا

ولا تزال المواقف تذكرنا بمواقف السابقين ، فما أزال أتذكر بعض الشباب الذين ينتفعون بالنصح ،  
فيأتون يسترشدون فيرشدون من ليس أهلا للإرشاد ، ولا هو متصف بذلك ولكنه ينتفع بذلك فيرى  
منهم قرة عين ويرى منهم مثابرة وعملا يقتضي منه هو أن يتشجع ويزداد في عمله

ومن هنا فإن كثيرا من الدعاة المعاصرين الذين دأبوا على تربية الناس ، وكانت لهم تجارب بارزة في هذا  
المجال ، يقولون :إن الذي نتلقاه من الذين نربيهم خير مما نعطيهم ، فكثير من الاساتذة المربين تزداد  
مواقفهم وتزداد صلابتهم ، بسبب مواقف من دونهم ، لأنهم يستحيون أن يكونوا من الداعين إلى هذا  
والامرين به ثم يتنازلون ، وأذكر موقفا للشيخ عبد الله ابن ..... فإنه قال أنه طلب من عامل أعمدة  
من خشب ، فأتاه بها فإذا هي عوجاء فقال هذه العمد عوجاء، فقال : ياشيخنا الدنيا كلها عوجاء  
،فوضع الشيخ يده على راسه وتذكر أنه يطلب الكمال في غير موضعه ، يطلب الكمال في الدنيا التي هي  
مبنية على شفا جرف هار ، فاستفاد من هذه الكلمة العجيبة التي صدرت من هذا الانسان

وأذكر أحد التجار خرج إلى المسجد ليصلي وترك مكان عمله في سوقه ، فلما رجع للمسجد وجد شخصا مختل العقل يجلس في مكانه ، فغضب غضبا شديدا وقال له :قم... بكلام فيه جفاء ، فالتفت إليه هذا الابله وقال له :أحوال أهل الدنيا متقاربة ، وأحوال أهل الآخرة متباعدة ، فوقع الرجل وسقط من طول قيامه وتذكر الحال وأنه لا يدري هل هو أقرب إلى الله أم هذا الانسان الذي يطرده من مكانه

وأذكر قصة أخرى قصها علي أحد المربين يقول : إنه في تربيته للشباب الذين يربيههم ، يرى منهم مواقف تجعله هو يزداد إيمانا وزكاء وتربية من أولئك الشباب فيستفيد منهم أكثر مما يفيدهم وهذه المواقف كثيرة جدا مثلما حصل لابي يعلى المودودي عندما كان يخطب في مؤتمر جماعة إسلامية في باكستان، فأطلق الرصاص في القاعة ، فدخل الناس تحت الكراسي وقالوا له اجلس اجلس ، فقال كلمة مدوية ، قال : إذا جلست أنا فمن يقوم ؟ فقام الناس جميعا ، وكأن شيئا ما حصل واستمر المودودي في خطبته

وكذلك يقول أحد الذين يعرفون البنا رحمه الله أنه أتاه ذات ليلة فوجده في آخر الليل وقد أكمل قيام الله واضطجع على فراشه يريد نوما لكنه لم يستطع النوم لبعض الاعمال التي يقوم بها ، فإذا هو يلصق الطوابع البريدية على الرسائل ، فقال له: حتى هذا الوقت وقت الراحة ولا تنام فيه؟ فقال : إذا اردت أن أنام تذكرت شبابا صغارا لا يقال عن أحد منهم مرشد ولا حاجة يأتون إلي هذا الوقت ومن الصباح الباكر وهم يعملون لنصرة دين الله فإذا لم أنافسهم في ذلك كنت على الأثر

فهؤلاء الذين يربون الناس يأخذون العبر من مثل هذه المواقف فتزداد همهم وتزداد تضحيتهم بسبب أن من دونهم يظهر منهم بعض هذه المواقف ، ألا تذكرون ما حصل لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه عندما نظر إلى من حوله فإذا هم فتیان صغار لا عهد لهم بالحروب وما لهم تجربة ولا عرفوا في معارك سابقة ، فخشي على نفسه لعلمه أن قريشا تريد أن تنال منه لكن ما راعه إلا هؤلاء الفتیان الصغار

يستبقون إلى أذنيه كل واحد يقول : ياعم إذا رأيت أبا جهل فأرنيه ، فيقول :وما حاجتك إليه ، قالك بلغتني عداوته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأريد أن أقتله فإذا هم يستبقون إلى أبي جهل ويقتلونه وهو يرى فعبد الرحمن الذي هو من السابقين الاولين من المهاجرين ومن الذين بذلوا وضحوا من قبل الفتح وقاتلوا ، ومع هذا يجد نفسه مغمورا أمام هؤلاء الشباب الصغار الذين يستبقون إلى أبي جهل

إن مثل هذه المواقف تقتضي أن يكون عامل علو الهمة متعديا ، فإذا ازداد الشباب تضحية وبذلا وازدادت هماتهم فذلك مقتض أيضا لأن يزداد الكبار إذ ينظرون إلى هؤلاء الصغار وما يبذلونه فيقتضي ذلك زيادة وبذلا ، ومساهمة في هذا الخير وهم يرون من دونهم يقوم بهذا العمل فيستحيي الكبير أن لا يكون مثل الصغير على الأقل

فلهذا اقول إن علينا أن نحاول أجمعين أن تزداد هممنا علوا ، وأن تزداد تضحيتنا وبذلنا في سبيل الله وأن نحاول أن نقتفي آثار الذين سبقونا وأن نحاول اللحاق بهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا في قرّة عين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأن يزيدنا إيمانا و يقينا ، وأن يزيدنا بذلا وتضحية في سبيل الله ، وأن يزيدنا علما وعملا وأن يجعلنا من المخلصين المخلصين

[انتهى بحمد الله تعالى]